سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة | السنة الثالثة | العدد 114 | 15 | آب 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

داعش: كيف وصلت ونخرت الثورة السورية

عبد الكريم أنيس

عبر متابعة وسائل الإعلام الغربية عموماً، والفرنسية خصوصاً، بات واضحاً بعد انتهاء السنة الرابعة من عمر الثورة السورية اليتيمة، وجود انحراف بتقديم المشهد الإعلامي. فقد استبدلت وسائل الإعلام التي تؤثر في الرأي العام التركيز على العصابة الحاكمة في قصر الشعب لتقديم جرائم التطرف السنية فقط. هكذا تم نقل الجمهور من مشاهدة ما تفعله العصابة بالمدنيين من قتل وتدمير ممتلكات إلى ضخ مركز لكل مقاطع العنف التي قام بها متطرفون من تنظيم داعش الإرهابي وغيره من المتشددين. كما أنها تناست عن عمد توضيح كيف أن الرئيس السوري هو الذي سمح بإطلاق سراح المتطرفين من السجون السورية في الأشهر الأولى لبداية الثورة بقصد إغراقها وحرف مسارها بمشاريع ليس لها علاقة بالحرية والكرامة والمطالب الشرعية للسوريين. كما أن غياب الأمم المتحدة ومجلس الأمن عن الاضطلاع بمهامهما، في ظرف ومكان يعج بتناقض المصالح الدولية المهيمنة على مسرح الأحداث بالعالم، كان سبباً آخر في وصول الثورة السورية إلى ما وصلت إليه من تطرف وصراعات جانبية قادت إلى استمرار آلة القتل المجرمة لنظام الأسد ومرتزقته وحلفائه من الطائفيين في حزب اللّه والميلشيات العراقية والحرس الثوري الإيراني.

بدايات داعش

إن ظهور تنظيم داعش لم يكن مفاجئاً، على الأقل للاستراتيجيين السياسيين الغربيين، فمنذ غزو العراق واحتلاله بات المشروع السياسي الذي دعمته الإدارة المدنية مساندة بقوات الاحتلال، التي سقطت أخلاقياً باحتلالها بلداً بعيداً عن حدودها الجغرافية. بناء على تدخل عسكري مباشر غير مسبوق في بدايات القرن الواحد والعشرين حيث تم دعم المكون الشيعي وتخريب النسيج الاجتماعي القائم في العراق، والتنسيق الاستخباراتي مع الدولة الفارسية للحفاظ على "الأمن" في أفغانستان والعراق.

رسخ هذا النهج ما سمي ب (الاستقرار السياسي) على حساب تقسيمات طائفية وإثنية في دولة كبرى في الوطن العربي. جعل هذا الوضع السنة العراقيين يعيشون ظلماً سياسياً، قام بتنميته الإهمال الشيعي الرسمي للشركاء في الوطن، عقب التخلص من دكتاتور العراق، مع شعور باطني واستهانة بمن أصبح خارج المعادلة السياسية في العراق الجديد، وهو يحمل حملا ثقيلا انطلاقا من أن على السنة أن يدفعوا ثمن ما فعله مجرم بشعبه كصدام حسين، كون صدام كان سنياً!! مع العلم أن الطاغية العراقي السابق كان لا يميز بالإجرام بين طائفة وأخرى أو بين قومية وأخرى من مكونات المجتمع العراقي.

> **هكذا تم نقل الجمهور من مشاهدة ما تفعله العصابة بالمدنيين من قتل وتدمير ممتلكات إلى ضخ مركز لكل مقاطع العنف التي قام بها متطرفون من تنظيم داعش الإرهابي وغيره من المتشددين كما أنها تناست عن عمد توضيح كيف أن الرئيس السوري هو الذي سمح بإطلاق سراح المتطرفين من السجون السورية في الأشهر الأولى لبداية الثورة بقصد إغراقها وحرف مسارها**

الوضع السوري

أما في الحالة السورية فقد حصل أن دخلت المعادلة أطراف لم يقم بدعوتها أحد ممن أوقد الثورة السورية التي رفعت شعارات نبيلة كالحرية والتعددية والمدنية. كما تم في عديد من المناسبات الشعبية والاجتماعات الرسمية مخاطبة المجتمع الدولي ومنظومة ما يسمى بأصدقاء سوريا كي يقوم المجتمع الدولي بواجباته في منع استمرار النظام باستهداف المناطق المدنية بسلاحه الثقيل والطيران. إلا أن المصالح الدولية الخارجية المعقدة والمتضاربة، سمحت للعصابة الحاكمة بإطالة قائمة المجازر وإضافة سلاح الصواريخ الباليستية، ومن ثم تعدي الحدود التي قيل أنها "خط أحمر" لتستخدم السلاح الكيماوي المحظور دولياً، ومن ثم لتخترع أسلوباً أكثر إجراماً وأقل كلفة لتدمير البنية التحتية للسكان عبر القصف بالبراميل المتفجرة باستخدام الحوامات – وهو ما أنكره بشار الأسد في مقابلة تلفزيونية مع صحفي ال بي بي سي. حصل كل هذا والمجتمع الدولي شاهد عيان يكتفي بالتعبير عن قلقه أو عن غضبه..

داعش في المستنقع السوري

إن داعش جزء من منظومة إرهابية

تتنامى بشكل طائفي اقترنت مع تدخل طائفي لحزب اللّه اللبناني الذي يناهض العداء للإسلام السني تاريخياً كما هي حال لواء القدس ولواء أبو الفضل العباس وقوات الحرس الثوري الإيراني وبهذا اعتبرت داعش في عديد من المناسبات من قبل بعض قصيري النظر أنه البديل المناسب ليسد ثغرة الدفاع ضد عصابة الأسد وشركائه الطائفيين فتم القبول بها جسماً غريباً في الثورة السورية لفترة وجيزة ومن ثم قامت الفصائل المسلحة المتمثلة بالجيش الحر بطردها بشكل حاسم وسريع من مناطق كبيرة ومختلفة كما حدث في إدلب وحلب. هنا لابد من القول أن دعم الجيش الحر كان دعماً متقطعاً وبدون أسلحة نوعية وتقاسمته الدول التي ادعت أنها تدعم عملية التخلص من النظام السوري ليأخذ الشعب السوري حقه في الكرامة والحرية، مما أربك تنظيم الفصائل المسلحة لتنضوي تحت هيكل رسمي صاحب كلمة واحدة على كل من يحمل السلاح. بالمقابل سمح لتنظيم داعش والنصرة أن يحصلا على مصادر دخل مستقرة ، كآبار النفط والغاز، وتم استثمارها بشكل فعال وتم للأسف شراء ولاء بعض العشائر في تلك المنطقة مما سمح لها بالتمدد في المناطق الشرقية حيث تقع الثروة الباطنية للدولة السورية.

إن انتعاش تنظيمات ارهابية في المناطق التي أضحت مناطق خارج سلطة العصابة الحاكمة لم يكن فقط معتمداً على المصادر المالية، وإنما لأن الدعم المستمر والمتواصل للجيش الحر، كان شحيحاً ومشروطاً. دفع هذا لاحقا الكثير من الأفراد للبحث عن تنظيمات لا تتبع لجهات تشتري منها ولاء محدداً، وتخضع فيها لإملاءات أجنبية لا تقدم لها سوى الوعود والتصريحات، وهذا دفعها للوقوع بين براثن عصابة البغدادي ومن معه القادمين من جحيم العراق. من جهة أخرى، تتكرر المظلمة السنية التاريخية التي حدثت بالعراق على أرض الشام بينما يقف العالم متفرجاً شاهدا على الدعم اللامحدود عسكرياً ولوجستياً وبشكل علني من قبل روسيا وايران للنظام السوري المجرم. في المقابل، تتعاطى منظمات المجتمع الدولي ومؤسساته مع ما يزيد على ربع مليون معتقل وبضعة ملايين من الناس تشردوا وتهدمت بيوتهم وانقطعت مصادر رزقهم وباتوا بين ليلة وعشية سكان خيام يستدرّون عطف العالم المتمدن الداعي للحريات والشعارات النبيلة وأقصى ما يقوم به أولئك هو إطلاق شعارات تعبر عن القلق والإدانات. مع العلم أن من المقارنات المؤلمة أن سجن الباستيل الذي يعتبر رمزاً للطغيان والقسوة الوحشية كان لا يحوي أكثر من 13 شخصاً فيه عندما استشاط الفرنسيون ضده وقاموا باقتحامه.

ماذا يريد الثوار في سوريا

وهذا بحد ذاته دفع لحالة من الإحباط واليأس بين كثير من الثوار الأوائل السلميين الذين كانوا يثقون بالشرعية الدولية لتقيهم شر عصابة الأسد وفخ تشرذم البلاد في ظل فوضى انتشار السلاح ليصبحوا من حملته أو الذين لا يمانعون في حضوره على أقل تقدير.

لقد أحرج الموقف الدولي الثوار المدنيين إحراجاً كبيراً خصيصاً بعد تصريحاتهم النارية ضد عصابة الأسد ودفعهم ليخوضوا معارك خطيرة لكن خاسرة في مواجهة المتشددين بالنيابة عن المجتمع الدولي الذي أعطاهم الوعود بأنه لن يسمح بما وصلت اليه البلاد من دمار وتشريد ودماء. لكن هذا المجتمع الدولي لم يكلف نفسه وجيوشه إقامة منطقة حظر طيران ولا زود السوريين الثائرين بمضادات الطيران تمكنهم من رد شر الطيران الأسدي وتغوله في قتل المدنيين ودمار ممتلكاتهم، ولو فعل ذلك لجنب السوريين تشريد الملايين وجنب حملات التسول التي تنظم باسمهم في كل فترة وحين، وهذا أمر مهين مهين للسوريين.

في هذا السياق، يريد السوريون أن يحصلوا على كشف حساب أخلاقي ومالي وقانوني عن ما قدمته المنظمات الدولية الرسمية وخصيصاً تلك التي ادعت أنها صديقة وداعمة لطلبات الشعب السوري الشجاع والباحث عن الخلاص من سيطرة العصابة المجرمة والدموية التي حكمت سوريا لعدة عقود واعتبار ذلك ديناً رسمياً عليها سيعيده حتى لا يتدخل الداعم الاقتصادي في الخيارات السورية التي ينبغي أن تبقى داخلية مهما شاع أنها مفككة والسبب قطعاً اختلاف مصالح الداعمين لفريق دون آخر، وهم يدركون كل الادراك أن الثمن والفاتورة يدفعها السوريين المدنيون مزيداً من التدمير والدماء، بناء على اختلاف مصالحهم.

زراعة الموت

دانية معلوف

مع انطلاق الحراك الثوري في اذار عام 2011 , لم تترك قوات النظام والميليشيات التابعة لها وسيلة من وسائل الموت و القمع الا و اتبعتها في سبيل قمع اي توجه يعارض وجودها أو يهدد بقائها ، فابتداء بالاعتقالات التعسفية و اطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين السلميين و ليس انتهاء ببراميل الموت وقذائف المدفعية والدبابات و حمم الطائرات الحربية و الغازات السامة ، كل ذلك أعطى الأسد وميليشياته سجلا حافلا بالاجرام ومشبعا بدماء الأطفال والمدنيين .

ومع دخول الثورة عامها الخامس ، وخروج مناطق شاسعة من سوريا عن سيطرة قوات النظام ، بدأت قوات النظام بابتكار أساليب جديدة من شانها زراعة وتوزيع الموت لاجماعي للمدنيين في المناطق الخارجة عن سيطرتها .

ومع عجز مدفعية قوات النظام عن الوصول الى المناطق المحررة ، وافتقار سلاح الجو لديها لطائرات استطلاع من شانها تحديد المواقع المستهدفة ، كان لابد لعقلية النظام الاجرامية من ابتكار طرق جديدة تمكن سلاح الجو من استهداف المنشأت الحيوية و اماكن التجمعات السكاينة كالأسواق و المساجد و المدارس ، وهنا ظهر الابتكار الجديد وهو شرائح تحديد المواقع .

حيث انتشرت هذه الظاهرة في الاونة الاخيرة بكثرة ، و قد عثر الأهالي على عدد لا بأس به من شرائح تحديد الموقع ،موزعة في مراكز حيوية كالأسواق و المساجد ، كما تمكنت عدد من الكتائب المقاتلة من القاء القبض على عدة أشخاص من العملاء الذين زودتهم قوات النظام بهذه الشرائح من بينهم أطفال .

وبالعودة هذه الشرائح ولفهم الية عملها ، يحدثنا المهندس أبو أحمد وهو فني طائرات من مدينة خان شيخون ، عمل لفترة طويلة في البحوث العلمية و انشق عن النظام في مطلع عام 2012 حيث يقول أبو أحمد :

« ان سلاح الجو في الجيش السوري ، هو سلاح قديم جدا ذو منشأ روسي ، وجميع صواريخ الطائرات الحربية لايمكنها اصابة أهدافها بدقة ، فهي صواريخ غير ذكية ، وتعتمد بدقة الاصابة على مهارة الطيار ، وبالتالي لايمكن أن تكون هذ الشرائح ذات فاعلية بالنسبة للطيار ، هي فقط ترسل احداثيات الموقع الى المطار ، ليتم تحميلها لاحقا على قائمة بنك الأهداف في لوحة النيران في الطائرة »

اما عن الية عمل هذه الشرائح ، يحدثنا خالد عبود ، وهو مهندس اتصالات ومدرس سابق في جامعة حلب فيقول :

« الية عمل هذه الشرائح بسيطة جدا ، تشبه تماما الية عمل الهاتف النقال ، فهي تتلقى الشبكة الخليوية عبر ال SIM CARD المزودة به ، و تقوم بعدها قوات النظام بتحديد دقيق لمكان الشريحة من خلال شركات الاتصالات التابعة لها ، يوجد نمط أخر من هذه الشرائح يعمل باستقبال خدمة انترنت فضائية ولكنه نادر جدا بسبب حجمه الكبير و كلفته العالية »

وبالعودة للحديث عن العملاء ، فقد عملت قوات النظام على تجنيد عدد كبير من ضعاف النفوس والأطفال وأصحاب السوابق وزودتهم بهذه الشرائح ، بهدف تسهيل عمليات تحديد الاهداف و الحاق ضربات موجعة بالحاضنة الشعبية للثورة .

وقد تم كشف خلايا كاملة في بعض القرى تجاوز عدد أفرادها خمسة أشخاص ، مما يدل على العمل المنظم الذي انتهجته هذه الخلايا ، ومن خلال التحقيق مع بعض ممن تمكنت فصائل المعارضة المسلحة من القاء القبض عليهم ، تبين أنهم يتقاضون

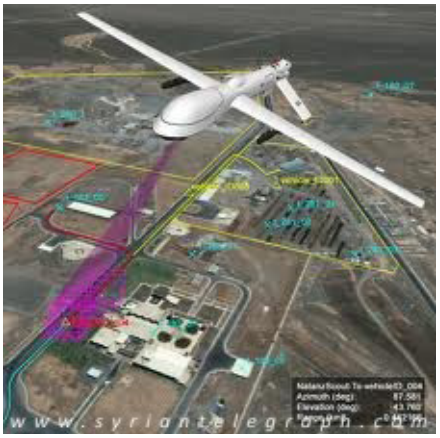

رواتب ومكافئات ضخمة ، و ان أوامرهم يتلقونها مباشرة من مطار حماة العسكري عبر التواصل من خلال الواتس اب في أغلب الأحيان ، وبأن لهذه الخلايا متزعم يوجه باقي الأفراد و يطلب منهم توزيع الشرائح في اماكن يتفق عليها مع الضابط المسؤول عنهم في مطار حماة العسكري .

وبالتالي تعتبر هذه المجموعات هي الوسيلة الأقذر التي استعملتها قوات النظام لتحقيق مأربها بالابادة الجماعية للمدنيين في المناطق الثائرة ، وبحكم تواجد هذه المجموعات بين المدنيين و باعتبارهم من أبناء القرى والمناطق المحررة وبحكم الفوضى الأمنية التي تشهدها المناطق المحررة و غياب الجهة الأمنية التي من شأنها البحث عنهم واكتشافهم ، فان سكان المناطق المحررة أمام خيار صعب بالموت اليومي المحتم على يد أبناء جلدتهم ، مما يتيح لقوات النظام قدرة أكبر على استهداف المدنيين والمنشأت الحيوية الى أجل غير مسمى

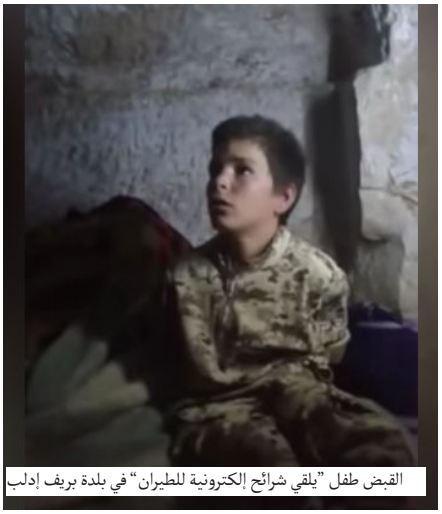
القبض طفل "يلقي شرائح إلكترونية للطيران" في بلدة بريف إدلب

تنظيم الدولة يشن هجوماً قوياً على المنطقة الأمنة

محمد علاء

نجح تنظيم الدولة من بسط سيطرته يوم أمس الـ 14 من أغسطس على قرية تلالين الإستراتيجية شمال مدينة مارع بريف حلب الشمالي، وذلك بعد اشتباكات عنيفة استمرت لساعات بين مقاتلي التنظيم ومقاتلي الجيش الحر والنصرة و التي آزرت الجيش الحر رغم إخلائها لمواقعها بالمنطقة.

وكان التنظيم قد بدأ الهجوم من قبل خلايا نائمة تابعة له قام بزرعهم في القرية، والذين مهدوا لدخول باقي القوات الى القرية، التي شهدت حرب شوارع حقيقية بين التنظيم والجيش الحر، الذي اضطر للانسحاب من القرية مساءً بسبب ضغط القصف العنيف من التنظيم، وبذلك فإن التنظيم يكون قد حاصر مارع بشكل شبه كامل، من خلال سيطرته على تلالين وسيطرته على قرية أم حوش قبل أيام، حيث أن السيطرة على قرية تلالين مكنته بسبب ارتفاعها، من السيطرة النارية على الطريق بين بلدة تل رفعت ومدينة مارع، التي انطلق منها الجيش الحر للسيطرة على الأحياء الشرقية في حلب.

في حين شهدت المنطقة سابقا اشتباكات بين التنظيم والجيش الحر، بالقرب من الحدود السورية التركية، استطاع الجيش الحر على إثرها من السيطرة على قريتي غزل مزرعة والخربة وعلى معمل الغاز الملاصق للشريط الحدودي، والقريب من بلدة دوديان المهمة، وقتل على إثرها عدة عناصر من التنظيم، الذي استجلب أعداد كبيرة من المقاتلين والآليات العسكرية واستطاع استرجاع كل النقاط التي خسرها.

وكان تنظيم الدولة قد سيطر في الـ 10 من أغسطس على قرية أم حوش بريف حلب الشمالي، والتي تقع جنوب مدينة مارع وشمال مدرسة المشاة **بعد اشتباكات عنيفة وتفجير سيارة مفخخة وتفجير مقاتل لنفسه بتمركزات لمقاتلي الجيش الحر في القرية، ما أسفر عن استشهاد ما لا يقل عن 40 مقاتلاً معظمهم من مقاتلي الفوج الأول جيش حر ومقاتلي حركة نور الدين زنكي ولواء فرسان الحق جيش حر.**

تكمن أهمية القرية أنها تعطي لتنظيم الدولة امكانية الدخول بشكل مباشر و أعمق غرباً مما يؤدي لحصار مدينة مارع بنسبة 70٪ والاقتراب أكثر من مدرسة المشاة والتي أصبحت بحكم المحاصرة أيضا، حيث تتواجد قوات النظام جنوب المدينة الصناعية وسيفات والمنطقة الحرة من جهة وشمالاً تنظيم الدولة من شرق المقبلة حتى أم حوش، ولا تزال الاشتباكات مستمرة حتى الأن في محيط القرية في محاولة من الجيش الحر استرجاع القرية.

وأكدت مصادر موثوقة أن السيارة المفخخة التي انفجرت والمقاتل الذي فجر نفسه لم يدخلا من مناطق سيطرة تنظيم الدولة، إنما من مناطق الجيش الحر الذي كان قد أقام خندقاً كبيراً بمحيط القرية من جهة سيطرة التنظيم لمنع وصول العربات المفخخة، ما يؤكد وجود خلل أمني كبير بالمنطقة وان التفجيران هما السبب الرئيسي لسقوط القرية بيد التنظيم.

ويذكر أن جبهة النصرة كانت قد سلمت نقاط تمركزها بريف حلب الشمالي لمقاتلي الجبهة الشامية ومنها نقاط اشتباك مع تنظيم الدولة في محيط بلدة صوران إعزاز، وذلك بسبب ضغوط تركية على النصرة للخروج من مناطق من المرجح أن تكون مناطق آمنة بعد طرد التنظيم منها بعملية مرتقبة أعلن عنها وزير الخارجية التركية مولود جاويش أوغلو في مؤتمر صحفي سابقاً.

من جهة أخرى شن تنظيم الدولة هجوماً عنيفاً على مطار كويرس العسكري، والذي يحاصره التنظيم منذ عام بعد طرد مقاتلي الجيش الحر من محيطه، و أقدم مقاتلين اثنين من مقاتلي التنظيم على تفجير نفسهما بعربات مفخخة على أسوار المطار الذي يتواجد فيه ما يقارب الـ 800 مقاتل من طلاب الكلية الجوية، ويعد هذا ثالث هجوم يشنه التنظيم بهدف السيطرة على المطار الذي يقع شرق حلب ب 30 كم، دون أن يحقق أي تقدم داخل المطار بالهجمات السابقة.

ويأتي هذا الهجوم بعد أربع أيام من سيطرة مقاتلي الدولة على قرية أم حوش القريبة من مدينة مارع بعد مواجهات مع الجيش الحر ويذكر أن تنظيم الدولة قد صعد من هجماته ضد الجيش الحر عقب إعلان تركيا قبل نحو أسبوعين حربا شاملة ضد مقاتلي تنظيم الدولة، تبدأ بإقامة منطقة عازلة تمتد من مدينة إعزاز وحتى مدينة جرابلس شمالي سوريا، تشترك فيها قوات التحالف الدولي بدعم جوي وفصائل مختارة من الجيش الحر كقوات برية.

وبحسب الإحصائيات فأنه ومنذ بدء التنظيم هجومه على مناطق الجيش الحر في الـ 9 من أغسطس وحتى اليوم، **استشهد ما لا يقل عن الـ 70 من مقاتلي الجيش الحر وجبهة النصرة، كما جرح ما لا يقل عن الـ 100 آخرين، وكان التنظيم قد اعدم عدد من المقاتلين الذين تم اعتقالهم ضمن هذه المعارك ولا زال مصير آخرين مجهول، وفي الطرف المقابل قتل ما لا يقل عن الـ 50 من عناصر التنظيم بينهم 6 فجروا أنفسهم بأحزمة ناسفة وعربات مفخخة، بينما تشهد جبهات القتال بين التنظيم وقوات النظام برداً مستمراً، على عكس الجبهات بين النظام والجيش الحر، حيث عمد النظام مؤخراً على إشعال جبهات حلب المدينة، بالتزامن مع هجمات التنظيم على ريف المدينة، علماً أن تلك الجبهات كانت على مدار العام هادئة نسبياً** يتخللها اشتباكات متقطعة أو محاولة تقدم من الجيش الحر، بسبب العمليات العسكرية وتركيز جهود الطرفين على منطقة حندرات ومحيطها، والتي شهدت معارك ضخمة بين الطرفين.

في الطريق الى عفرين

أحمد فرج

كنت قد قرأت صباح اليوم خبرا مفاده أن الضابطة الشرعية في إعزاز بريف حلب قامت بإغلاق الطريق المؤدية الى عفرين بعد حالات عديدة من اعتقال وإذلال للسوريين المدنيين على يد قوات البي كي كي.

وقد أعادني الخبر الى ما حدث لي في تلك المدينة وأنا أعبرها متوجها الى تركيا عن طريق غير شرعي نظرا لعدم امتلاكي لجواز سفر نظامي قبل أن تقوم الحكومة التركية بإغلاق المعابر فيما بعد بوجه الجميع.

وكان الخوف هو ما دفعني الى مغادرة سوريا حاملا معي طفلاي وزوجتي وصديق لي كان يرغب بإراحة أعصابه قليلا من ضغوط الحياة في الداخل السوري الملتهب.

ففي أحد الصباحات اللعينة، تلك التي تستيقظ فيها على صوت حوامة أو برميل متفجر كانت هنالك حقيبة سفر كتلك التي يستعملها الجنود في إجازاتهم، معدة على عجل تحوي على بدل للطفلين وبعض الحاجيات البسيطة والضرورية فقد اختصرنا ما أمكن اختصاره نظرا لصعوبة الطريق ولإمكانية اضطرارنا للركض والقفز والزحف.

وصلت السيارة التي ستنقلنا الى الحدود في الساعة السابعة صباحا، ودعت من تصادف وجوده في المكان وانطلقنا..

كان السائق يرغب بحمل أكبر عدد ممكن من الركاب، وذلك يستدعي البقاء في بعض البلدات التي تقع ضمن استهداف الحوامة مستهترا بحياة الركاب الآخرين، لكن لم يطل بقاؤه وانطلق بحثا على ركاب قد يكونوا أمامه على الطريق، ولم يتردد سائقنا في أن يخرج عن الطريق لكي يوصل بعض المسافرين الى وجهات أخرى بعد أن يستأذننا بشكل شكلي وساخر لكي يدخل الى المخيمات المتناثرة على الطريق عسى أن يجد راكبا إضافيا

قبل أن نصل الى عفرين أوصانا جميعا بأننا على وشك أن نقف عند حاجز للبي ي ودي وعلينا أن نتفقد كل حواسيبنا وجوالتنا من أية أدلة تشير الى أننا منتمين الى الثورة أو أي فصيل إسلامي تجنبا لأي مشاكل.

سمعة البي يو دي الجيدة في ذلك الوقت في عدم ارتكابها لأية تجاوزات بحق السوريين دفعتني لكي لا أخذ تلك التحذيرات على محمل الجد، ومع ذلك قمت بحذف كل ملف أو صورة قد يساء فهمها من جهازي المحمول، وما أن وصلنا الى الحاجز حتى أنزلونا من السيارة وبكل احترام طلبوا مني أن يتصفحوا ملفات الصور الموجودة في جهازي.

توقفوا عند صورة لصديق لي ملتح من الجيش الحر وقال لي الجندي هل هذا داعشي؟ أجبته بالنفي ولفتُ نظره الى علم الجيش الحر خلفه في الصورة لكنه لم يقتنع واعتبر أن مهمته هنا قد انتهت وبأنه يتوجب علي أن أذهب الى مخفر المدينة وسيرافقني احد الجنود، لم تفلح معه كل الوسائل في أن يتركنا نواصل الرحلة فاضطررت الى الخضوع مرغما.

لم تكن المدينة بعيدة سوى كيلومترات قليلة، حين وصلنا الى مخفر عفرين لم نكن قلقين نظرا للطف الجنود معنا، لكنني ما أن دخلت المخفر حتى تغيرت مشاعري، جو العسكر الذي أكرهه كان واضحا في كل شيء، من اللباس الى الشعارات على الحيطان الى انعدام أي مؤشر على تعاطفهم مع الثورة أو الثوار، وما أن جلست في أحد المكاتب حتى شعرت بأنني في أحد الأفرع الأمنية في ادلب.

دخل المحقق غاضبا بلا سبب كان شابا في الثلاثينيات من عمره يحاول أن يكون عدوانيا في أسئلته السريعة والمتلاحقة مع لهجة من التنمر والاستفزاز جعلتني اصمت مفكرا بحجم الورطة التي انا بها.

ما صدمني هو ميوله الواضحة للنظام السوري في أسئلته ما أثار في داخلي نزعة قديمة وقوية لتحدي كل ما يمت للنظام بصلة ولمتانة فكرة الثورة في نفسي ووضوحها، وكان شكل التحدي في الصمت.

من أين أنت؟ الى اين أنت ذاهب؟ ولم تريد الذهاب الى تركيا؟ ماذا تعمل؟ لم لا تعمل في مؤسسات الدولة السورية؟ هل تلتقي مع المخابرات التركية؟ .. وكنت أرى أن الإجابة عن تلك الأسئلة ذل خالص، لكن بعد فترة صمت طويلة كان يبحث فيها داخل جهازي المحمول كنت انظر إليه على أنه رجل مخابرات سوري وأفكر فيما يمكن أن يحدث لو أن الأمور ساءت أكثر

قلت له:

كان لدي فكرة أفضل عن البي يو دي وتنظيمه واحترامه لحقوق الإنسان وعدم ارتكابه لأي تجاوزات بحق الشعب السوري لكنني أرى الأن أنك تتجاوز على حقوقي، أنا السوري الذي أعبر إحدى مناطق سوريا، ليس لدي مشكلة في حواجزكم طالما أن غايتها حرصكم على الأهالي، لكن أن أرى تعاطفك مع النظام السوري وهو الذي فعل مافعل بكم أنتم الأكراد، فهو أمر محير بالنسبة لي .. أنا انتمي الى ثورة السوريين ضد بشار الأسد ولن أرضى بأن تستمر عصابته بالحكم، وأتطلع الى سوريا المدنية التي يتساوى فيها جميع السوريين بلا استثناء، أما فيما يتعلق بتركيا فمشاكلكم معها لا تعنيني أنا الهارب من الموت.

أجابني بعد أن هدأت حدة عدوانيته:

أي ثورة هذه التي تتحدث عنها؟ هل تسمي مجموعة من السلفيين الجهاديين التكفيريين الذين يريدون إقامة خلافة إسلامية ولا يعترفون بأي مكون أخر من الشعب السوري ثورة؟

هذه المجموعات التي تنهب مؤسسات الدولة ودوائرها؟

أي ثورة تلك التي تذبح كل ما هو غير مسلم، إن الدولة السورية مازالت قوية ولن يسقط بشار الأسد وعليكم أن تتعلموا من تجربتنا في الحكم الذاتي، نحنا لا نغامر بشعبنا بمحاربة النظام ونرهنه لتركيا وهي التي تدعم المجموعات الإرهابية التي تدمر البلد، علينا أن نجري حوارا مع النظام

ونتوصل معه الى إصلاحات مقبولة للجميع.

حين أجبته عن أي إصلاحات يمكن التوصل إليها مع هذا النظام وأي حوار يمكن أن تجريه تحت الطائرات والقذائف عاد الى غضبه وأكد أن هذا النظام أفضل من الحكومة التركية، ودخلنا في نقاش عقيم لم نصل به الى أية نتيجة .

لكن هذا النقاش أراحني قليلا فقد نسي دور المحقق فيه وعاد الى عفويته وإنسانيته كأي كردي سوري اعرفه، ورأيت فيه كل رفاقي وإخوتي الذين مازالوا موالين للأسد والذين يهربون من الحقيقة خوفا من المجهول أو حماية لبعض المصالح التي يتمسكون بها.

مرت ساعات طويلة على نقاشنا دخل فيها الكثير من الجنود الأكراد وخرجوا وأنا أفكر بمن تركتهم خارجا تحت الشمس فقلت له يجب أن تعرف أن عائلتي ورفاقي خارجا ينتظرونني، أراد يدخل نقاشا جديدا فقد تذكر دلائلا جديدة تؤكد وجهة نظره حين قرع الباب ليدخل سائقنا معتذرا منه أن انتظارهم قد طال كثيرا وأمامنا طريق طويلة، أعاد لي المحمول وأكد لي أن «الأيام القادمة» ستؤكد وجهة نظره وسنندم على تمردنا.

غادرت المكان شاردا وسؤالا واحدا يتملكني: «كم سيمر على هذه الأرض قبل أن نتوافق نحن البشر على إنسانيتنا»

كنت سعيدا وانا ارى علامات الانزعاج على وجه سائقنا بما سببته من تاخير له نكاية على تبطاؤه واختياره لهذا الطريق، قال لي ونحن خارجين من المخفر: ماذا كنتم تفعلون بالداخل يا رجل؟

قلته له شعرت بأنه كاد أن يعتقلني، هذا المحقق من الموالين للأسد وأنا اعتبر نفسي محظوظا أنني نجوت من هذا المكان.

قال لا تخف لا يستطيع أن يعتقلك

وحين استغربت من ثقته وما كان بإمكاننا أن نفعل لو أنه قرر اعتقالي أو تسليمي للنظام قال: بكل بساطة سنقوم بخطف العناصر المتواجدين على الحاجز الأول ونبادلهم بك.

وأردف: ألا تذكر كيف فك أحد العسكريين سيارته المحجوزة لديهم بخطف عدة أكراد من على الطريق واستبدلهم بها؟

في الخارج كان القلق يتملك وجه زوجتي بينما كان صديقي قد مد جسور تواصل مع بعض الباعة والشرطة على الرصيف وأخذ منهم فكرة كاملة عن إمكانية أن يقيم في عفرين ويفتتح محلا له، فاكتظاظ المدينة بخليط من كل مدن الشمال وبالأمان الكبير الذي تتمتع به المدينة (فهي لم تقصف بالطائرات ولم تقتحم من الجيش) وإمكانية العيش بها أمر مقبول جدا بدلا من السفر الى تركيا أو أوربا وراح يقنعني بذلك ووافقته على فكرته مع تخوف كبير كتمته في نفسي من «قابل الأيام».

وصلنا الى الحدود كان كرم الزيتون الذي يبعد عن السلك الشائك ما يقارب 400 م مكتظ بالعائلات والشبان الذين ينتظرون الفرصة للدخول الى تركيا، في حين كان الجنود الأتراك يطلقون بعض الطلقات المحذرة من بعض المتهورين الذين يحاولون العبور.

النصرة تخلي نقاط سيطرتها بريف حلب الشمالي بعدضربات امريكية ثأراً للفرقة 30

تحرير زيتون

بعد يومين من اعتقالها لقائد الفرقة 30 وعدد من مرافقيه شنت جبهة النصرة هجوماً كبيراً على مقرات الفرقة 30 المتمركزة في قرية الشوارقة بين مدينتي عفرين واعزاز بريف حلب الشمالي، حيث دارت اشتباكات عنيفة بين الطرفين لم تستطع النصرة من خلالها احراز أي تقدم في المنطقة، بعد مؤازرة جيش الثوار المكون من عدة فصائل من الجيش الحر لمقاتلي الفرقة 30 في المعركة الآنفة الذكر.

بدورها الولايات المتحدة الأمريكية والتي نفت في البداية ان يكون الضباط والعناصر المختطفون قد تلقوا تدريبات ضمن برنامجها المعلن لتدريب مقاتلين «معتدلين» من المعارضة السورية لقتال تنظيم الدولة الإسلامية، لك سرعان ما أخرجت طائراتها الحربية لمؤازرة مقاتلي الفرقة 30 الذين تعرضوا لهجوم من قبل النصرة.

من جهته أكد زياد وهو مسؤول تنسيق في الفرقة 30 «»ان المقاتلات الامريكية أتت بدون أي طلب من المقاتلين على الأرض الذين استطاعوا صد الهجوم بمساعدة جيش الثوار، وأكد الحلبي ان الأجهزة والمعدات التي تؤمن التواصل مع طائرات التحالف قد تم تأجيل تسليمها لمقاتلي الفرقة بطلب امريكي خوفا من وقوعها بيد مقاتلين «متطرفين» عند دخول الفرقة، وتم قطع وعود بتسليمها لهم بعد تأمين مقراتهم وتفاهمات مع الفصائل على الأرض»».

وبحسب مصادر خاصة فأن النصرة تكبدت خسائر كبيرة في هذه المعركة خصوصاً من ضربات التحالف التي أدت لمقتل 38 مقاتل من النصرة بينهم قياديان اثنان أحدهم سعودي الجنسية، وشكلت الضربات الجوية تلك صدمتاً كبيرة لدى القيادة العسكرية والسياسية لدى النصرة، من مدى سرعة ردة الفعل الامريكية والتي جاءت سريعة وقاضية، الأمر الذي بدى مختلفاً لدى محاربة النصرة لكل من جبهة ثوار سوريا ومن ثم حركة حزم المحسوبتين على الامريكان، والتي لم تتدخل القوات الامريكية لمساندة أي منهما.

الضربات الجوية استهدفت عدة مقرات في محيط مدينة اعزاز وعلى أطرافها ما أدى لتدمير أربعة مقرات ومقتل وجرح كل من فيهما، كما أدت الضربات الى تدمير 9 عربات دفع رباعي مزودات برشاشات متوسطة، وكانت الخسائر تلك هي السبب المباشر وراء توقف العملية العسكرية للنصرة والتي أعلنت مسبقاً انها لن تتوقف حتى القضاء على كامل عناصر الفرقة، ليأتي بعدها بعدة أيام انسحاب النصرة من تمركزات لها على جبهات ضد تنظيم الدولة في ريف حلب الشمالي.

من جهتها أعلنت جبهة النصرة عن انسحابها من جميع نقاطها بريف حلب الشمالي القريبة من خطوط المواجهة مع تنظيم الدولة، وعزت الجبهة هذا القرار إلى رفضها أي تعاون مع الخطة الأمريكية-التركية الهادفة إلى إنشاء منطقة خالية من أي موقع لتنظيم الدولة في محافظة حلب بشمال سوريا، على طول الحدود مع تركيا، وقالت الجبهة في بيان نشر على الإنترنت «نعلن انسحابنا من خطوط المواجهة مع تنظيم الدولة في شمال محافظة حلب»، من دون أن تحدد المناطق التي يشملها القرار. وفي إشارة إلى الخطة الأمريكية-التركية، وأضافت «إننا لا نرى جواز الدخول في هذا الحلف شرعاً، لا على جهة الانخراط في صفوفه ولا على جهة الاستعانة به ولا حتى التنسيق معه»، مؤكدة أن الهدف الأول لهذه الخطة «هو خدمة أمن تركيا القومي». ورغم انسحاب النصرة من الجبهات تلك، الا انها قامت بمؤازرة قوات الجيش الحر في المنطقة، بعد تعرضهم لهجوم عنيف من قبل تنظيم الدولة.

على هامش الصندوق الأسود
(سقوط الجولان)

تركي المصطفى

لست من الجيل الذي عاصر هزيمة حزيران عام 1967م , ولست طرفا فيها , بل من جيل هو ناتج تلك الهزيمة , وعانى ولمّا يزل نتائج كارثة حزيران التي أرست حكما طائفيا , اختزل سورية بشخص وصل الحكم عبر دماء الناس , ومن نافذة قناة الجزيرة الفضائية , تابعت كغيري برنامج (الصندوق الأسود , سقوط الجولان) , ولا أعترض أو أناقش ممن أدلى بشهادته في هزيمة الأيام الستة , فكثيرا ما تطمر أسرار السياسة والسياسيين تحت ركام القوة والأهواء وعمليات الإلغاء , وطالما شوهت حقائق , بل شنقت على أعواد الطغاة والظالمين , ولعل ما فتحه صندوق الجزيرة الأسود كشف أسرارا خفيّة غامضة لقلّة من كتبوا فيها كفاعلين ومشاركين في حركة أحداثها , وتلك الشهادات , بالنتيجة أمانة , ومسؤولية وطنية في قراءة مرحلة كانت بنتائجها الكارثية مدمرة وممزقة للوطن عبر حرب أهلية صامتة في بعض مراحلها , وعلنية في بعضها الآخر , امتدت منذ شباط عام 1966م , وكانت أكثر تعبيرا في مرحلة الثورة السورية . والسؤال الكبير كيف سقط الجولان السوري ؟

وصول جديد/ الأسد للحكم ، مقدمات سقوط الجولان

بأسلوب الرشوة المبطنة , أعاد الثنائي (صلاح جديد / حافظ الأسد) قصة (أبو جعفر المنصور) مع عساكر أبي مسلم الخراساني , الذين ألهاهم جمع المال عن البحث في مصير قائدهم وجثته المرمية خارج أسوار القصر , فكانت الجثة التي ألقاها (جديد / الأسد) , للعساكر المنشغلين بالمنافع الذاتية مساحة (2005) كم2 , من أرض الوطن التي ألحقتها اسرائيل بدولتها بعد خمس سنوات من احتلالها .

بعد إعلان مجلس الأمن الدولي عن وقف إطلاق النار بين العرب واسرائيل , وانتهاء اسرائيل من احتلال هضبة الجولان , والضفة الغربية وصحراء سيناء حتى قناة السويس , أعلنت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية , التي كان يهيمن عليها (جديد) ووزير دفاعه الأسد , أنه نظرا للصمود الذي أبداه الجيش السوري في الدفاع عن الوطن فقد تقرر, منح راتب شهرين لكل ضابط وضابط صف وجندي من العاملين في الجيش متطوعين كانوا أو احتياطيين , ومنح إجازة استيراد سيارة لكل من فقد سيارته الخاصة في تلك الحرب , والتعويض عن الحاجيات والأثاث التي للعسكريين الذين فقدوها بسبب مغادرتهم لمساكنهم في تلك الجبهة , وبذلك القرار أصبح عدد الفاقدين لسياراتهم من العسكريين , والذين فقدت حاجياتهم بالمئات والمتضررين بفقدان أمتعتهم وحوائجهم البيتية أكثر .

من المعروف أن حرب الأيام الستة عام 1967م , انتهت , بخسارة سورية مرتفعات الجولان التي تعد من أمنع وأخصب الأراضي , وانسحاب الجيش السوري من تلك الاراضي بعد أن قدم للدفاع عنها مئة وخمسة وأربعين قتيلا بحسب ما جاء في حديث وزير الاعلام السوري محمد الزعبي في المؤتمر الصحفي الذي عقده في (24/ حزيران / عام 1967م) , والذي نشرته جريدة الجماهير السورية في عددها (684) .

جاء (جديد / الأسد) , إلى الحكم في سورية بمشروع يخصهما وحدهما وباشرا بتنفيذه تحت مظلة حزب البعث , منذ اليوم الأول لما عرف بثورة آذار عام 1963م , عندما تولى (جديد) رئاسة شؤون الضباط مستفيدا من اندفاعة الضباط البعثية – الوطنية في الجيش , وضعف التنظيم الحزبي المدني والعسكري الموالي لقيادة الحزب القومية ممثلة (بعفلق – البيطار) , بينما كان (جديد / الأسد) , يعملان على تجميع ولاءات عسكرية على أسس طائفية لدفعها إلى المراكز الأساسية . وذلك عبر مراحل إلى أن صنعا حزبا جديدا كل صلته بحزب البعث التاريخي , هو الوحدة في الأسماء ولا شيء غيره , وركب مع طائفته موجة حزب البعث لسببين , الأول , لأن (جديد / الأسد) , ومن معهما من الطائفة العلوية , بحاجة إلى هوية حزبية يواجهون بها ممثلي الاتجاه الناصري , وجلّهم من السنة , الأكثر نفوذا في الجيش , والأوسع شعبية بين الناس . والثاني , كان على (جديد / الأسد) , إثبات هوية جديد البعثية لكسب ولاء الضباط البعثيين , فآل جديد ينتمون تقليديا إلى الحزب القومي السوري المعادي عقائديا لحزب البعث , ويحمّل البعثيون شقيقه الأكبر غسان جديد , اغتيال العقيد عدنان المالكي , ويتهمونه بالعمالة

للولايات المتحدة . بينما الأسد كان ضابطا مغمورا في القوى الجوية التي يسيطر عليها تكتل الضباط (الشوام) .

ليلة السكاكين الطويلة

(ليلة السكاكين الطويلة (بالألمانية: Nacht der langen Messer) أو «عملية الطائر الطنان» أو ما يعرف بالألمانية بـ«روم بوتش»، هي عملية التطهير التي وقعت في ألمانيا النازية بين 30 يونيو و 2 يوليو 1934، عندما نفذ هتلر سلسلة من عمليات الإعدام السياسية. وكان معظم القتلى من أعضاء فرقتي «كتيبة العاصفة « إس أ) و«القمصان البنية» الشبه عسكريتين.

كانت أول مرحلة من مخطط (جديد / الأسد) , تصفية الضباط الناصريين (السنة) وجماعة زياد الحريري من الجيش , تصفية شاملة ونهائية , ثم تصفية معارضيه داخل حزب البعث , ولضمان تحقيق مشروعهما , لابد من تأييد القيادة الحزبية واعترافها بجديد قائدا حزبيا للعسكريين المنتمين للحزب , مما مكنهما من تصفية القيادة التاريخية للحزب بالأسلوب النازي الذي مارسه هتلر فيما عرف بالتاريخ بالليلة ذات السكاكين الطويلة , في مذبحة تموز من العام 1963 م . إثر الحركة التي قادها جاسم علوان , فأفرغ الجيش من مئات الضباط من مختلف صنوف الأسلحة , وكان الهدف البعيد الذي خطط له (جديد / الأسد) , الهيمنة على القوات المسلحة السورية , لأنها الوسيلة التي لا بديل عنها في تطلعهما للاستيلاء على السلطة كاملة في سورية . ولكن السؤال , كيف عرف (جديد / الأسد) بتفاصيل حركة الناصريين ؟ لقد أبعد جديد قادة الأجهزة الأمنية بالنفي خارج البلاد , وجلهم من السّنة , كمحمود حاج محمود رئيس المخابرات العسكرية وعين بدلا منهم ضباطا طائفيين , وكان مصدر جديد عن الحركة الناصرية , الضابط المسرح النقيب الطائفي محمد نبهان , الذي هون على جديد / الأسد قمعها بعد ساعات من وقوعها . والسؤال الملحاح كيف يعدم ضباط بحجة اشتراكهم بالحركة , ولا يعدم من أعلن رسميا أنه من أخطر المشتركين فيها , وأعني النقيب محمد النبهان ؟ وبذلك تخلص (جديد/ الأسد) من الضغوط الداخلية الشعبية والعسكرية التي كانت تطالب بالعودة إلى الجمهورية العربية المتحدة . وصعود (صلاح جديد) إلى قمة السلطة العسكرية برتبة لواء رئيسا لأركان الجيش السوري . وبلغ مجموع الضباط الذين سرحهم (950) ضابطا من مختلف الرتب , وكانوا من العسكريين المحترفين الذين يشكلون العمود الفقري للجيش السوري .

بعد تصفيتهما للضباط السنة , قاما بحركة 23 شباط عام 1966م , التي انتهت بنتائج كارثية على الصعيد الوطني , فقد تسبب مشروع الثنائي (جديد / الأسد) , في خلق انقسامات طائفية , بحيث أصبح الولاء للثنائي , من أهم شروط القبول في الكليات والمعاهد العسكرية , والوصول إلى المراكز الأساسية في الجيش ودوائر الأمن المختلفة , وأصبح الجيش السوري كله بسيطرة الثنائي , وابتدأ التحول الخطير في المستوى العسكري للجيش نحو الأدنى , والتحول الأخطر في أولويات المهام العسكرية للجيش , إذ جعلت مهمة القمع الداخلي بحجة المحافظة على مكتسبات الثورة , مقدمة على مهام المواجهة مع العدو لتحرير فلسطين التي كان الثنائي (جديد / الأسد) يزاودان فيها على العرب الآخرين بالكلام الاذاعي .

قرابين هزيمة حزيران في سورية

كتب مصطفى طلاس في كتابه مرآة حياتي : لم يكن يراودني أدنى شك في أن الحكم معرض للسقوط , ذلك لأنني لم أشعر بالتقصير في الحرب العربية – الاسرائيلية , .. ولكن الرفاق أعضاء القيادة القطرية (باستثناء اللواء حافظ الأسد) , كانوا مصابين بنوع من الهلع , لاحتمال فقدانهم السلطة , لأنهم إذا فقدوها فمعنى ذلك أنهم فقدوها إلى الأبد ... اتصل بي اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع , وقال لي : (عليك أن تباشر بمحاكمة سليم حاطوم وبدر جمعة , وعندما استأذنته , أن أقوم بتنفيذ المهمة صباح اليوم التالي ... كانت توجيهات اللواء حاسمة : عليك أن تبدأ عملك منذ هذه اللحظة , لأنك لا تعيش جو رفاقنا في القيادة , فهم في حالة رعب حقيقي وخوف على سقوط النظام ... فأجبته إني متوجه فورا لإنجاز المهمة .

والحقيقة في عودة سليم حاطوم وبدر جمعة , إلى دمشق والأسباب في إقدام (الأسد / جديد) على إعدامهما , ليس كما تحدث مصطفى طلاس , الأكثر رعبا منهما , فكلام طلاس يحتاج إلى الدليل الذي يؤكده , والأغبياء وحدهم الذين يصدقون أن ضابطين يتركان القوات التي معهما على الحدود السورية – الأردنية ويدخلان دمشق لوحدهما لإسقاط النظام فيها .

والحقيقة في إعدام (سليم حاطوم وبدر جمعة , حالة الفزع عند (جديد / الأسد) , والتي تحدث عنها طلاس , وولّد الخوف من خروج الجيش عليهم , والنتيجة لخروج الجيش على السلطة معروفة للثنائي التي لطالما التمرد , وإسقاط الحكم , فكان لابدّ من عمل ضاغط وسريع يرهب الجيش , فأمسكا بأول فرصة ممكنة بتذكير قادة الجيش بخطورة التفكير بمحاولة التمرد , وكانت تلك الفرصة , إعدام أقوى ضابطين من ضباط الجيش السوري في مرحلة الستينات بعد محاكمة صورية أجريت لهما على عجل في سجن المزة العسكري .

> «اتصل بي اللواء حافظ الأسد وزير الدفاع , وقال لي : (عليك أن تباشر بمحاكمة سليم حاطوم وبدر جمعة , وعندما استأذنته, أن أقوم بتنفيذ المهمة صباح اليوم التالي ... كانت توجيهات اللواء حاسمة : عليك أن تبدأ عملك منذ هذه اللحظة»

وبالنتائج التي أسفرت عنها حرب الأيام الستة , كانت أكثر من كافية لإقصاء (جديد / الأسد) , وتقديمهما مع قائد الجبهة أحمد المير إلى المحاكم الميدانية ومحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى , أسوة بما يحدث في بلاد العالم الذي تتسبب قيادته في مثل تلك الكارثة أو بأقل منها أثرا على الوطن والأمة . ولكن ما الذي جرى ؟

مأساة وثائقيّة مستمرّة

بشار فستق

ممّا يشغل بال السوريّ ولا ينفكّ يدور في رأسه كهاجس يوميّ موضوع الهجرة بأدقّ تفاصيلها، ولا يمرّ حديث بين اثنين منهم دون أن يتطرّأ لهذه المسألة، وهذا ما استهلّ به نصّ حواريّ حديث كتبه ممثّلان شابّان هما «حسن البوحسن» و«محمّد الملّي» بعنوان «ضحايا العصر»× في مقاربة واقعيّة عبر شخصيّات تمثّل طيفاً من المجتمع السوريّ.

يلج الكاتبان موضوعهما مباشرة عبر حوار بين خمسة شبّان يتداولون فيما بينهم ما آلت إليه أوضاعهم، فيبدي أحدهم تصوّره بالقول: «وللّه ما أعرف، بس إذا بقيت الأوضاع هيك موبس مستقبلنا ضاع، مستقبل ولادنا وسلالتنا كمان رح يضيع» محرّضاً على التحرّك باعتبار أنّ التهديد وجوديّ وجماعيّ، وتصل المجادلة إلى اقتراح السفر إلى أوروبّا، ولكن تنفيذ الفكرة - رغم عدم موافقة الجميع تماماً في البدء - تصطدم بحاجز تأمين المال، إذ يتساءل حسين ويجيب: «أوربا بدها مصاري مصاري بتعرفوا شو يعني مصاري؟! يعني دولار يورو ومو أي واحد فيو يطلع» ثمّ تظهر تفاصيل وتتداخل مع العقبات والحلول تباعاً، يقول مصطفى: «القصّة بدها مصاري، بس في طرقات بياخدوا مصاري قليل متل البحر وكتير ناس طلعت بالبحر ووصلت وهلق هنن بالكامبات وبعد فترة رح ياخدوا الإقامة»، وهنا أوّل إشارة إلى البحر كطريق وكاحتمال للغرق، لكنّ اليأس يحلّ محلّ الإجابة ويصبح نقطة قوّة حين يقول حسين: «خيّو نغرق بالبحر أحسن ما نغرق بالحياة!» ويصبح العمل على إيجاد المهرّب (الكويّس) الخطوة التالية.

يرسم النصّ في مشهد لقاء أحمد - وهو أحد الشبان الخمسة – مع المهرّب «أسامة» بحوار ذكيّ وحيّ، علاقة تتمّ فيها صفقة تحدّد مسار الرحلة المفترض وتحسين شروط الدفع، إذ يطرح أحمد تخفيض السعر: «بس أنا مو لحالي نحن خمسة أشخاص» ويتساهل المهرّب «أسامة»: «حلو كتير إذا هيك إلكم سعر خاص»، ونلمح توسّعاً في العمليّة عندما يزداد عدد المشتركين بها، كعائلة «أبو لما» المكوّنة من الأمّ والابنة، وتظهر شخصيّتا المهرّب الأعلى مرتبة «كمال»، و «البارون» كمتحكّم ومسيطر باعتباره مالكاً لقارب التهريب.

تلتقي المجموعة في حديقة تمهيداً للانطلاق، ونكتشف خلفيّاتهم الاجتماعيّة وأحلامهم من خلال إعادة التعارف بينهم في هذا الظرف الاستثنائيّ كمشروع مهاجرين، يستفسر أحمد عن دراسة الفتاة اليافعة «لما» باعتبارهم جيراناً سابقين في سورية: «كيفك لما؟ وكيف كانت دراستك إن شاءاللّه نجحتي؟ لما: الحمدللّه، بس ماقدمت امتحان لأنّو كان في قصف.» وتلوح الهجرة كأمل وحلّ من جديد، «خالد: اللّه يعين يالله بكرا تكمّلي دراستك بأوربا إن شاءاللّه.» ويؤكّد الوالد أسباب وأهمّيّة قراره بألم، «أبولما: آخ يا ابني.. واللّه ماخلّاني بيع أملاكي كلّها وفكر بالطلعة برّات البلد إلّا مستقبل هالبنت..».

في مشهد ليلي داخل شقّة يضعهم فيها المهرّبون، يقضي المهاجرون – الشبّان وعائلة أبو لما - ليلتهم الأخيرة معاً بانتظار الإبحار، ويبوح كلّ بأحلامه عمّا بعد الوصول إلى أوربّا فيقول شاهين: «عم فكّر كيف بعدما أوصل ع أوربا وآخذ الإقامة، مباشرة رح أنزل وأكتب كتابي وأعمل لمّ شمل.. وأبعت لخطيبتي يلي صار لها سنين عم تنتظرني.. ما قدرت لمّ الشمل هون بلكي بحسن بأوربا!»، ويحلم مصطفى بأن: «أنا بدّي كفّي دراستي، كان حلم أبي أني كمّل دراستي والأوضاع ما خلّتني أذّو حقّق حلم أبي بلكي بأوربا بقدر حقّق حلمه». تنضمّ مجموعة أخرى من المهاجرين، يقرّر المهرّبون ساعة الانطلاق، ترتفع المعنويّات بين المهاجرين إلى درجة أنّ بعضهم يبدؤون بالغناء.

في اللحظات الأولى من الانطلاق يعترض «حسين» على كثرة العدد خشية الغرق، «حسين :(يصرخ) ماني طالع ما بدّي.. هاد المركب رح يغرق فينا.. هاد المركب قديم كتير»، فيُعامل بعنف من قِبل المهرّبين ويقمع ثمّ يُرمى في المركب رغماً عنه، فيما يصمت الباقون ويصعدون، ويخاطب مالك المركب «البارون» المجموع بسخرية: «يالله.. اللّه معكم، سلّمولي على أوربا.. على أرض الميعاد..».

في عرض البحر وبعد سبعة أيّام تموت خلالها طالبة الثانويّة «لما» وتضطرّ المجموعة إلى رميها من المركب وتتكسّر الأحلام، يفرّ «شوفير» المركب بعد أن تعطّل المحرّك، وأخيراً يغرق المركب وسط صراخ المهاجرين.

في اللوحة الأخيرة – بحسب تسمية الكاتبين - عبر قناة تلفزيونيّة تنقل مذيعة نتائج حادثة غرق على شاطئ إيطاليّ منهية هذا النصّ «المذيعة: ...ويُعتقد أنّ كلّ من كان على متن القارب قد غرق، بسبب عدم العثور على ناجين».

لكنّ المأساة الواقعيّة، مازالت مستمرّة.

هامش:

*النصّ مخطوطة، لم تُطبع ولم تُجسّد بعد.

الفنّان زهير حَضرَموت
يرسم بالنّغم .. ويعزف بالألوان

عبد الرزاق كنجو

على الرّغم من ارتباط الحزن بنواعير مدينة حماة وأنينها المتواصل ليل نهار , إلاّ أنّنا نشعر في قرارة أنفسنا بأنّ ذلك الصّوت يضيف للنفس بهجة وارتياحا , بدلالة أنّ ارتباط ذلك الصوت واعتباره مصدراً للحزن والألم , لايلبث أن يتحول تريجياً الى سلسلة من ألحان البهجة والفرح التي تملأ الساحات وتطرب الوجدان .

لقد احتار الفنّان زهير حضرموت ومنذ الصغر بالطريقة المثلى التي يستطيع ان يعبر فيها عن أحاسيسه الفنية « السمعيّة » , وبين ملكاته الإبداعية « النظريّة » المتمثلة بهواية الرسم والتصوير لما يحيط به من مناظر خلابة على ضفاف نهر العاصي والعناصر البشرية المتجمعة دائما تحت ظلال اشجار اللّوز والمشمش الحموي . فلقد ولد في بيئة غنيّة بألوان الطبيعة من جهة وبألوان الألبسة المزركشة التي يحرص الرجل عليها ـ قبل المرأة ـ فليس مصادفة أن نجد القمباز والكبّود والدشداشة الحموية , تمتاز بتزيينها بخيوط متوافقة من الحرير اللّامع عند العنق والصدر والأكمام .

وإزاء ذلك فقد عزم على متابعة الهواية الفنيّة بشقيها في الرسم والموسيقا كونهما يساهمان في إثراء وبناء شخصيته الفكريّة والفنية , لذلك نجدة قد تعلّق بآلة الكمان الموسيقية وأبدع فيها عزفاً وتأليفاً , بينما انتسب الى كلية الفنون التشكيلية ليتخرج منها عام 1974 من قسم التصوير بموضوع تخرج متميّز, أراد منه ان يدمج دراسته اللّونية بموهبته السمعية التي لم يبتعد عنها اة يفارقها , لذلك نجده قد اختار موضوع العرس الشعبي في البيئة الحموية بل الشرقية عموماً .

ولهذا وجدناه يقيم معرضه الفني الأول تحت اسم عرس في اكثر من عشرين لوحة ترسم المراحل المتنوعة للمناسبة ابتداء بالخطوبة وإلتقاء أهل العروسين وأفراح الساحات عند الرجال وفي البيوت المزدانة بجميع أدوات الزينة والزخارف البيتية والصمديات والبقج وصناديق ألبسة العروس المزخرفة بالأصداف وقطع الزجاج الملونة .

معتمدا بذلك على إبراز البيئة المحلية والتراثية والتأكيد على العادات والتقاليد في إقامة الولائم في الساحات للدلالة على الكرم والسخاء والإلفة بين أبناء المجتمع الواحد .

عندما نقف أمام لوحاته نكاد أن نسمع منها قرع الطبول وأصوات المزامير, مترافقة بأهازيج النساء أو بخبطات أقدام الرجال في الساحات المزدانة بالأضواء وبأحواض الزهور الملونة .

كما أنّه يجهد نفسه بحشر معظم رموز الفرح , ضمن سطح اللوحة المحددة بدون ان نشعر بضيق أو بتزاحم تلك العناصر وطغيان بعضها على بعض , بحيث نجد أعيننا تنتقل من عنصر الى آخر وكأنه مرسوم ومصاغ لمفرده بينما نجد المشهد العام يتآلف في لوحة واحدة لها موضوع محدد . وهنا تظهر براعة الفنان زهير حضرموت وتميّزه ببساطة التوليف وجمع العناصر بحرفية تركيبية غير مخلة بخطوط

الرسم التي يثبت لنا تمكنه منها من جهة وبالالوان التي تمتاز لوحاته بتفردها من جهة أخرى . وهو مايؤكد هويتة الفنية التي تميزه عمّن سواه .

وبالعودة لهوايته أو لإحترافه العزف والتأليف الموسيقي فلقد شارك في أكبر الفرق الموسيقية الكبرى ,وعمل في الرياض السعودية لسنوات عديدة عازفاً متميزاً على آلة الكمان , ومؤلفاً موسيقياً لمقطوعات شهيرة تتناقلها محطات التلفزة العربية والعالمية .

واذا كان الفنان زهير حضرموت يميل بطبعه الى الوحدة والإبتعاد عن أماكن الفوضى والإزدحام فذلك ليبقى في جوٍّ من التأمل البصري فيما يحيط به , ومايمرّ أمام ناظريه , وللبقاء في سكون المكان الذي يتيح لمفردات ألحانه بالتواصل والتلاقي ليجعل منها نغماً يحزّه بقوسه المشدود على أوتار كمانه الذي لايفارقه .

انه حقّاً يرسم بالصّوت .. ويعزف بالألوان .

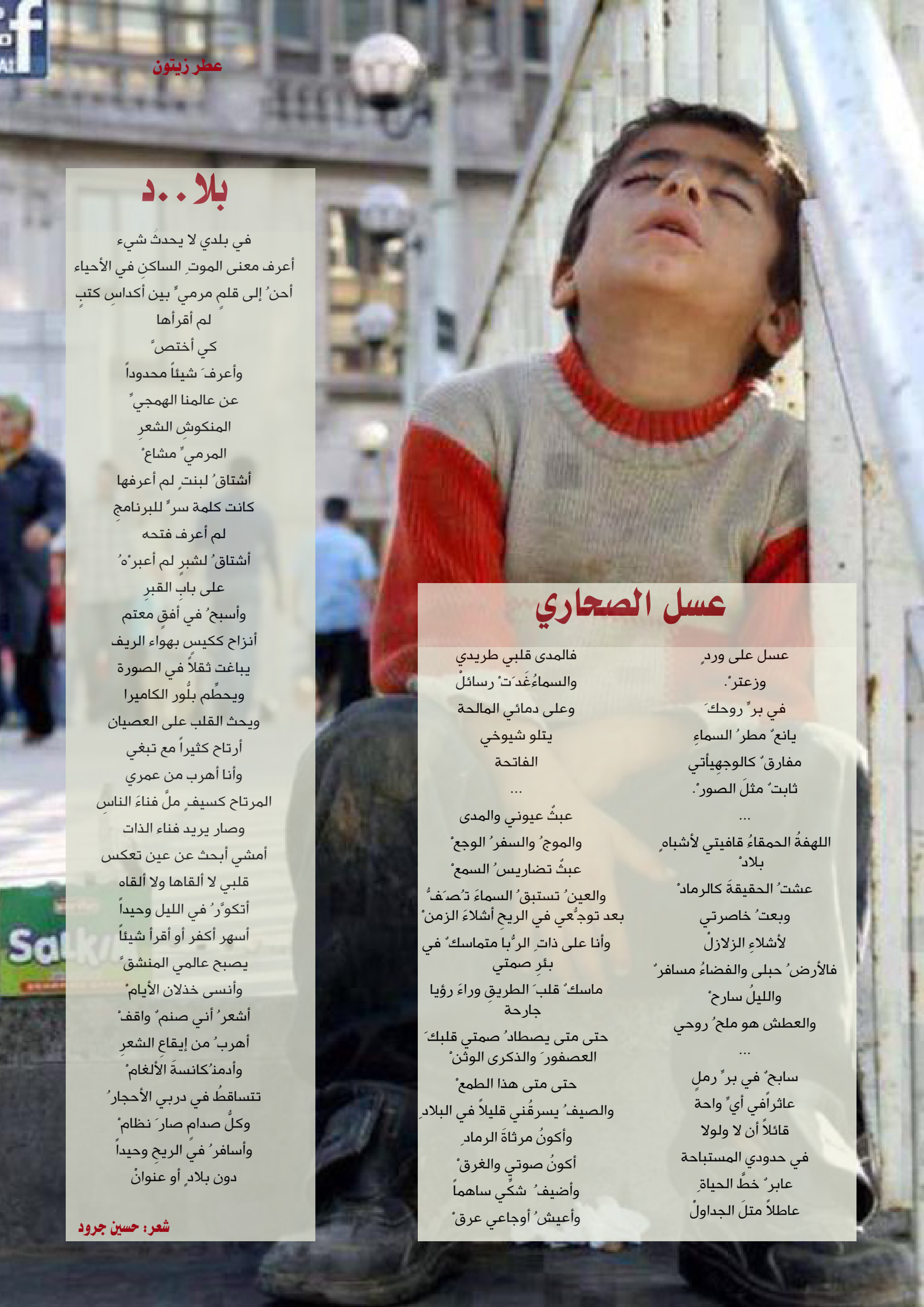

بلا..د

في بلدي لا يحدثُ شيء
أعرف معنى الموتِ الساكنِ في الأحياء
أحنُ إلى قلمٍ مرميٍّ بين أكداسِ كتبٍ
لم أقرأها
كي أختصَ
وأعرفَ شيئاً محدوداً
عن عالمنا الهمجيِّ
المنكوشِ الشعرِ
المرميِّ مشاعْ
أشتاقُ لبنتٍ لم أعرفها
كانت كلمة سرٍّ للبرنامجِ
لم أعرف فتحه
أشتاقُ لشبرٍ لم أعبرْهُ
على بابِ القبرِ
وأسبحُ في أفقٍ معتم
أنزاح ككيسٍ بهواء الريف
يباغت ثقلاً في الصورة
ويحطِّم بلُّور الكاميرا
ويحث القلب على العصيان
أرتاح كثيراً مع تبغي
وأنا أهرب من عمري
المرتاح كسيفٍ ملَّ فناءَ الناسِ
وصار يريد فناء الذات
أمشي أبحث عن عين تعكس
قلبي لا ألقاها ولا ألقاه
أتكوَّرُ في الليل وحيداً
أسهر أكفر أو أقرأ شيئاً
يصبح عالمي المنشقَّ
وأنسى خذلان الأيامْ
أشعرُ أني صنمٌ واقفْ
أهربُ من إيقاعِ الشعرِ
وأدمنُ كانسةَ الألغامْ
تتساقطُ في دربي الأحجارُ
وكلُّ صدامٍ صارَ نظامْ
وأسافرُ في الريحِ وحيداً
دون بلادٍ أو عنوانْ

شعر: حسين جرود

عسل الصحاري

عسل على وردٍ
وزعترْ.
في برِّ روحكَ
يانعٌ مطرُ السماءِ
مفارقٌ كالوجهِ أتي
ثابتٌ مثلَ الصورْ.
...
اللهفةُ الحمقاءُ قافيتي لأشباهٍ
بلادْ
عشتُ الحقيقةَ كالرمادْ
وبعتُ خاصرتي
لأشلاءِ الزلازلْ
فالأرضُ حبلى والفضاءُ مسافرٌ
والليلُ سارحْ
والعطش هو ملحُ روحي
...
سابحٌ في برِّ رملٍ
عاثرافي أيِّ واحة
قائلاً أن لا ولولا
في حدودي المستباحة
عابرٌ خطَّ الحياةِ
عاطلاً متلَ الجداولْ

فالمدى قلبي طريدي
والسماءُغَدَتْ رسائلْ
وعلى دمائي المالحة
يتلو شيوخي
الفاتحة
...
عبثٌ عيوني والمدى
والموجُ والسفرُ الوجعْ
عبثٌ تضاريسُ السمعْ
والعينُ تستبقُ السماءَ تُصَفُّ
بعد توجُّعي في الريحِ أشلاءَ الزمنْ
وأنا على ذاتِ الرُّبا متماسكٌ في
بئرِ صمتي
ماسكٌ قلبَ الطريقِ وراءَ رؤيا
جارحة
حتى متى يصطادُ صمتي قلبكَ
العصفورَ والذكرى الوثنْ
حتى متى هذا الطمعْ
والصيفُ يسرقُني قليلاً في البلادِ
وأكونُ مرثاةَ الرمادِ
أكونُ صوتي والغرقْ
وأضيفُ شكِّي ساهماً
وأعيشُ أوجاعي عرقْ